

## التشكيل الصوتي وأثره في فصاحة اللفظ

بحري نواره

جامعة قسنطينة

### Abstract:

Voice modulation is one means of reliable judgement of the eloquence of words. What is created by the ancestors is met by what the successors reached too through the scientific study of sounds (phonetics) and the science of reciting the Quran.

### ملخص:

يُعَدُّ التَّشْكِيلُ الصَّوْتِيُّ أَحَدَ الْأَدْرُعِ الَّتِي يُعْمَلُ عَلَيْهَا فِي الْحُكْمِ عَلَى فَصَاحَةِ اللَّفْظِ أَوْ بُعْدِهِ عَنْهَا، لِذَلِكَ عَنِ عُلَمَاءِ الْعَرَبِيَّةِ لُغَوِيِّينَ وَبَلَاغِيِّينَ بِهَذِهِ الْقَضِيَّةِ، وَأَفَاضُوا فِيهَا، حَيْثُ كَانَ حِرْصُهُمْ عَلَى فَصَاحَةِ الْكَلِمَةِ الْمُفْرَدَةِ وَالْكَلِمَاتِ الْمُرَكَّبَةِ نَاطِقًا وَسَمْعًا، وَكَانَ النَّصُّ الْقُرْآنِيُّ مُلْهِمًا وَهَادِيًا يُسَاعِدُهُمْ فِي تَمْيِيزِ الْأَفْظَانِ مِنْ حَيْثُ الْحُسْنِ وَالْقُبْحِ مُرَكَّبًا زَيْنًا فِي ذَلِكَ عَلَى صِحَّةِ مَخَارِجِ الْحُرُوفِ، وَتَبَاعُدِهَا، وَمُوَافَقَتِهَا لِلذَّوْقِ الْعَرَبِيِّ، وَقَدْ تَلَقَّى مَا خَلَفَهُ السَّلَفُ مَعَ مَا أَحَدَّثَهُ الْخَلْفُ مِنْ دِرَاسَاتٍ فِي عِلْمِي الْأَصْوَاتِ وَالتَّجْوِيدِ.

### مقدمة:

الأصوات المكونة للكلمات تتفاوت حُسْنًا وَقُبْحًا مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى وَالْمَبْنَى، ذَلِكَ أَنَّ اللَّفْظَةَ قَدْ تَكُونُ عَذْبَةً تَجْرِي عَلَى اللِّسَانِ كَالْمَاءِ سَلَاسَةً وَالنَّسِيمَ رَقَّةً، وَالْعَسَلَ حَلَاوَةً، فَتَرْتَاحُ لَهَا النُّفُوسُ وَتَسْتَسِيغُهَا الْأَذْوَاقُ، وَقَدْ تَكُونُ بِخِلَافِ ذَلِكَ فَتَأْتِي ثَقِيلَةً يَحْتَاجُ نَاطِقُهَا إِلَى كَلْفَةٍ عَضَلِيَّةٍ زَائِدَةٍ، فَضَلَا عَنْ التَّعَثُّرِ وَالتَّلَعُّثِ الَّذِي قَدْ يَقَعُ فِيهِ النَّاطِقُ بِهَا.

وقضية التشكيل الصوتي وأثره في فصاحة اللفظ عني بها علماء العربية لغويين وبلاغيين على حد سواء، فأفاضوا فيها لما لها من أثر في تركيب الكلام وتناسق موسيقاه. ومن هنا كان حرصهم على فصاحة الكلمة والتركيب،

وقد كان لهم في ألفاظ القرآن الكريم وجُملته مثل يُحتذى. فوضعوا معايير يُحتكم إليها في تمييز جمال أو قُبْح الكلمة، وما توصلوا إليه من نتائج تلقفها علم اللغة الحديث ونماها وزاد عليها، وعلل لها تعليلا علميا قائما على أسس وضوابط موضحة الأسباب المؤدية إلى تنافر أصوات الكلمة، مما يُبعدها عن مدارج الفصاحة اللفظية والمعنوية.

#### إشكالية البحث:

حاولت في هذا المقال إمطة اللثام عن رأي الرعيل الأول من البلاغين واللغويين حول علاقة التشكيل الصوتي بفصاحة اللفظ، فما هي المعايير التي أوجدها علماء العربية للاحتكام إليها في تمييز اللفظ الفصيح من غيره؟ وما مدى أثر موقعية الأصوات في الكلمة في فصاحتها؟ وقد تطرقت في المقال إلى: تعريف التشكيل الصوتي لغة واصطلاحاً، وكذا قواعد التشكيل الصوتي من حيث المخرج، ومن حيث الذلاقة والإصمات، ومن حيث تجاوز الحروف، وكذا ميل الحروف المتجاورة إلى تحقيق الانسجام الصوتي، كما استظهرت جانباً من صنع علماء العربية في القضية.

#### 1- التشكيل الصوتي وأثره في فصاحة الكلمة:

الحقيقة التي لا مرأى فيها أن الكلام البشري عد بمثابة سلاسل صوتية يرتبط بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً، فالمتكلم لا يعبر عن خلجات نفسه، ولا يبين عن مقاصده وغاياته بأصوات مفردة منعزلة مجردة، بل ينتج أنسجة لغوية مادتها الأساسية الأصوات في اللغة المنطوقة، والحروف في اللغة المكتوبة، وفي هذا المقام قال ابن سينا ( ت 428هـ):

« ولما كانت الطبيعة الإنسانية محتاجة إلى المحاورة لاضطرارها إلى المشاركة والمجاورة، انبعثت إلى اختراع شيء يتوصل به إلى ذلك...فمالت

الطبيعة إلى استخدام الصوت ووفقت من عند الخالق بآلات تقطيع الحروف وتركيبها معا ليدل بها على ما في النفس من أثر»<sup>(1)</sup>

فالأصوات اللغوية لا تحمل معنى في حد ذاتها بل «يجب أن توضع في شكل تتابعي محدد معين، مكونة كلمات أو مجموعة من الكلمات»<sup>(2)</sup>، ذلك أن الفونيمات تمثل «المظاهر الأولى للأحداث اللغوية، كما أنها بمثابة اللبنة الأساسية التي يتكون منها البناء الكبير»<sup>(3)</sup> نتيجة تفاعلها مع بعضها البعض داخل النسيج اللغوي، وليس التفاعل بين الأصوات وتجاوزها في السلسلة الكلامية صالحا دوما، ذلك لأن هناك اعتبارات تحدد ورود صوت معين في موقع محدد أو عدم وروده، فمخرج الصوت وصفاته العامة والخاصة من الأسس الهامة التي تحدد التشكيل الصوتي داخل الكلمة.

وبما أن الكلمة مادتها الأساسية الوحدات الصوتية المتألّفة، والمتفاعلة لتشكل كيان اللغة المنطوقة، فإن الأصوات تمثل المظاهر الأولى للأحداث اللغوية، ولعل أهم ما يميز الأصوات اللغوية هو توزيعها على مدرج صوتي واسع ومتنوع» ذلك أن الحروف العربية تتدرج وتتوزع خارجها ما بين الشفتين من جهة وأقصى الحلق من جهة أخرى فتجد الفاء والباء والواو الساكنة ومخارجها من الشفتين من جانب والحاء والهاء والهمزة ثم الغين والحاء على التدرج ومخارجها من الحلق أقصاه فأدناه من جانب آخر، وتتوزع باقي الحروف العربية بينهما في هذا المدرج»<sup>(4)</sup>، هذا التوزيع الصوتي على الجهاز النطقي يكسب الكلمات تناغما وتوافقا صوتيا وتألّفا موسيقيا فكلما كان الكلام خاليا من التعقيد،

---

<sup>1</sup> - ابن سينا: ( العبارة) الشفاء، تحقيق محمود الخضيرى، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1970، ص 21.

<sup>2</sup> - ماريوباي: أسس علم اللغة، ترجمة د/ أحمد مختار عمر، طرابلس، 1973، ص 41.

<sup>3</sup> - زين كامل الخويسكي: الجملة الفعلية في شعر المتنبي منفية واستفهامية ومؤكدة، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، 1985، ص 278.

<sup>4</sup> - محمد المبارك: فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط7، 1981، ص 249.

سهل التركيب، عذب الألفاظ، بعيدا عن التكلف، كان له وقع في القلوب وتأثير في النفوس.

وبما أننا أمام موضوع التشكيل الصوتي وأثره في فصاحة الكلمة، يتوجب علينا تركيز الإهتمام على كيفية تموضع الأصوات داخل اللفظ المفرد، فإذا كان اقتران الألفاظ ببعضها يتوجب أن يكون على نسق خاص، ويتأليف منسجم، فإن اقتران الحروف يتوجب - أيضا - أن يكون مما يؤدي إلى تناسق في الكلمة وبذلك توسم الكلمة بالجودة والأناقة اللفظية.

وعليه فالعلاقة جد وطيدة بين التشكيل والتأليف الصوتي وبين فصاحة الكلمة العربية، فما التشكيل الصوتي؟ وما هي قواعده المؤدية إلى فصاحة اللفظ؟

### 1- مفهوم التشكيل الصوتي:

أ- التشكيل لغة: إن كلمة تشكيل مشتقة من الفعل « شاكلَ الدالة على التشابه والتماثل وهو من الشكل الذي يعني الشبه والمثل». (1)

ب- التشكيل اصطلاحاً: مما هو معلوم أن الأصوات لا تحمل معنى في حد ذاتها ما لم تتضام مع بعضها البعض وتتألف وفق نسق معين متماسك البناء، متناسق الأجزاء، ومنسجم سابقه مع لاحقه وفق نظام اللغة، فالأصوات اللغوية « يجب أن توضع في شكل تتابعي محدد معين، مكونة كلمات أو مجموعة من الكلمات» (2)، من هنا يمكن تعريف التشكيل الصوتي بأنه: « تلك القواعد التي بواسطتها يتم التأليف بين أصوات اللغة الواحدة لإنتاج الكلمات وفق نظام تلك اللغة» (3).

<sup>1</sup> - الجوهري: الصحاح، تح أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، 1984، ج5، مادة شاكلَ.

<sup>2</sup> - ماريوباي، أسس علم اللغة، ص 41.

<sup>3</sup> - محمد الأنطاكي، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، دار الشروق العربي، بيروت، لبنان، ط3، د.ت، ص 30.

والواقع أن التشكيل الصوتي في الموروث النقدي بسبيل العناية بصفات الحروف إلى جانب « ما يعترىها من تبدلات صوتية، وكذا علاقاتها المخرجية والوصفية وكذا التطلع إلى إقامة نظام يكشف أسرار البناء الصوتي ودقائق معانيه». (1)

وقال د/ تمام حسان في شأن التشكيل الصوتي « إن علم التشكيل الصوتي لا يقصر همه على تقسيم الأصوات إلى حروف، وإنما يتناول بعد ذلك طائفة من التغيرات الصوتية بحسب الموقع، وقد أطلقنا عليه اسم الموقعيات prosodies أو الظواهر الموقعية prosodic feature من ذلك التماثل بين الحرفين المتعاقبين في السياق حين يتقارب مخرجها، كنطق النون في صوت الميم كما في من بينهم ومنه أيضا ظهور همزة الوصل في بداية الكلام واختفاؤها في الوسط » (2) وبما أن الصوت هو الركن الرئيس لبناء اللغة باعتباره اللبنة الأولى للأحداث اللغوية، اهتم علماء اللغة العرب والغرب بموضوع التشكيل الصوتي ليصير علما قائما بذاته هو «علم التشكيل الصوتي أو الفونولوجي»، وقد أوضح د/ توفيق شاهين موضوعه بقوله « أما علم التشكيل الصوتي أو الفونولوجي فيدرس الصوت في سياقه، وطريقة نطق أصحابه في نطقهم الطبيعي للغتهم، وكذلك معرفة مدى تأثيره بما يجاوره من أصوات حتى تتضح صورة الفونيم أي الوحدة الصوتية التي تتشكل باختلاف المواقع المؤثرة فيها، ويتضح المقطع الصوتي، فتعرف الطريقة التي ركبت منها الكلمات في تلك اللغة وكذلك أجزاء النفعيات العروضية» (3)

---

<sup>3</sup> - انظر ابن جني، سر صناعة الإعراب، تح حسن هنداي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1985، ج1، ص ص 19-28.

<sup>2</sup> - د/تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية ص 120.

<sup>3</sup> - د/ توفيق محمد شاهين، علم اللغة العام، دار التضامن للطباعة، القاهرة، ط1، 1980، ص 104.

**2- قواعد التشكيل الصوتي:** إن قواعد التشكيل الصوتي هي تلك القواعد المتعلقة بطرق الجمع والتأليف بين أصوات اللغة لإنتاج الكلمات التي يتم عن طريقها التفاهم بين أبناء المجتمع الواحد، ومن هذه القواعد التي نجد لها صدى في اللغة العربية ما يتعلق بمخارج الحروف من حيث التماثل والتقارب من جهة، وما يتعلق بالتقسيم الثنائي للحروف ( الحروف المذلفة والمصمتة) من جهة ثانية، ومنها ما يتعلق بتجاور الحروف من حيث المصاحبة والتقدم والتأخر من جهة ثالثة.

#### **أولاً- من حيث المخرج:**

##### **أ-الميل إلى التخلص من توالي الأمثال:**

التماثل هو أن يتفق الحرفان مخرجاً وصفة<sup>(1)</sup> وقد تفتن علماء العربية القدماء لهذه الظاهرة، حيث عبروا عنها بمسميات عدة منها: « كراهية التضعيف » أو كراهية اجتماع حرفين من جنس واحد أ، أو استتقال اجتماع المتلين وغير ذلك<sup>(2)</sup>.

ومن بين طرق التخلص من توالي الأمثال المخالفة بين الأصوات المتماثلة، فقد تشتمل الكلمة على صوتين متماثلين كل المماثلة، فيقلب أحدهما إلى صوت آخر لتتم المخالفة بين الصوتين المتماثلين<sup>(3)</sup>، وعادة ما يكون هذا الصوت الذي تمت به عملية المخالفة صوتاً من أصوات اللين أو أشباهها، وقد تنبه سيبويه إلى هذه الظاهرة، إذ عقد باباً في كتابه سماه « باب ما شد فأبدل

<sup>1</sup> - أنظر ابن الجزي، النشر في القراءات العشر، ج1، ص 278.

<sup>2</sup> - أنظر د/ رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره وعمله وقوانينه، مكتبة الخفاجي، ط1، 1982، ص

62.

<sup>3</sup> - د/ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4، 1979، ص 211.

مكان اللام الياء لكراهة التضعيف وليس بمطرّد، وذلك قولك: تسريت، وتقصيت، وأملت»<sup>(1)</sup>

حيث أن الأصل في هذه الكلمات تسرّر، وتقصص، وأملّ بالترتيب، فأبدل مكان أحد المثلي- أي الراء، والصاد واللام ياء- وذلك لاستئصال اجتماع المثليين، أو لكراهية التضعيف كما يقول سيبويه، وقد أورد ابن جني المشكلة بمصطلح جديد، ليخالف به كل من سبقوه، حيث قال في «باب في قلب لفظ إلى لفظ بالصنعة والتلطف لا بالإقدام والتعجرف» تقضى البازي إذا البازي كسرّ هو في الأصل من تركيب (ق ض ض) ثم أحاله ما عرض من استئصال تكريره إلى لفظ (ق ض ي)، وكذلك قولهم: تلعت من اللعاعة أطلبها، وهي نبت، ثم صارت بالصنعة إلى لفظ (ل ع ي)<sup>(2)</sup>، فالصوتان المتمثلان يحتاجان إلى كلفة عضلية للنطق بهما في كلمة واحدة وتيسيرا لهذا المجهود، واقتصادا في المجهود العضلي يقلب أحدهما إلى صوت آخر يكون عادة صوت لين، أو أحد أشباه أصوات اللين.

ولا تعد المخالفة الطريقة الوحيدة للتخلص من توالي الأمثال، بل هناك طريقة أخرى وذلك بحذف أحد المثليين في مثل صيغ: تفعلّ وتفاعلّ و تفعللّ مع تاء المضارعة، فاللغة العربية تميل إلى حذف إحدى التاءين والإكتفاء بتاء واحدة فقط، وفي القرآن أمثلة كثيرة منها: تذكرون سبع عشرة مرة بالحذف، في مقابل تتذكرون ثلاث مرات بلا حذف<sup>(3)</sup>، لأن النطق العربي يكره توالي الأمثال، ومن هذا القبيل قوله تعالى: ولا تتابزوا بالألقاب<sup>(4)</sup> بدلا من تتنابزوا

<sup>1</sup> - سيبويه: الكتاب، ج4، ص 424.

<sup>2</sup> - ابن جني، الخصائص، تح محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ط1، 1956، ج1، ص ص 88، 91.

<sup>3</sup> - رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره وعمله وقوانينه، ص 73.

<sup>4</sup> - سورة الحجرات، الآية: 11.

وكذلك قوله تعالى: «تكاثر من الغيظ»<sup>(1)</sup> عوضاً من تتميز، ومنه أيضاً ما جاء في الحديث: «ولا تتنازعوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخواناً بدلاً من تتنازعوا وتتحاسدوا وتتباغضوا.

ومن أمثلة الحذف أيضاً لكراهية توالي الأمثال: إن ولكن وكأن إذا وليتهن نون الوقاية، وذلك قبل ياء المتكلم أو ضمير المتكلمين المنصوب، والحذف مع هذه الحروف كثيرة الشيوخ في القرآن الكريم، ففيه مثل «إني» 124 مرة في مقابل «إني» 6 مرات، كما نجد «إنا» وردت (33) مرة في مقابل «إنا» مرة واحدة<sup>(2)</sup>

### ب- كراهية اجتماع الحروف المتقاربة المخارج:

لا يوجد صوت مفرد حسن وآخر قبيح «فالطاء مثلاً ليست أجمل من الزاي والعكس، بل كلاهما صوت يتشكل مع غيره ليكون اللفظة المفردة التي يدخلها الحسن أو القبح حين التأليف»<sup>(3)</sup>

وحرصاً على فصاحة الكلمة وسلامة نسيجها اللغوي، عمدت العربية إلى عدم الجمع بين الأصوات المتقاربة جداً في المخارج في الكلمة الواحدة، وذلك تجنباً لثقل النطق وبشاعة التأليف ورداءة النسيج والسبك، وهذا كله يولد - لا محالة - كلمات تمجها الأذان وتكرهها الأنفس ولا تستسيغها فضلاً عن إجهاد أعضاء النطق لأنها بهذا التقارب المخرجي تعمل ضمن حيز ضيق يشل حركتها مما يوقع الناطق في التلعثم والتعثّر وصعوبة الإفصاح عن المعاني ذلك «أن الحروف إذا تقاربت مخارجها كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت، لأنك إذا استعملت اللسان في حروف الحلق دون حروف الفم، ودون حروف الذلاقة كلفته

<sup>1</sup> - سورة الملك، الآية: 08.

<sup>2</sup> - أنظر/ رمضان عبد التواب، التطور اللغوي، مظاهره وعلمه وقوانينه، ص 74.

<sup>3</sup> - محمود سليمان ياقوت، علم الجمال اللغوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1995، ج1، ص

جرسا واحدا وحركات مختلفة»<sup>(1)</sup> فمن خصائص العربية هو توزع أصواتها على مدارج النطق حيث «تتمثل هذه الخاصية في نظام هذا التوزيع، بحيث تجيء الأصوات المؤلفة للكلمة منسجمة يفقدها حلاوة النغم وحسن التلقي والقبول»<sup>(2)</sup> فهذا التوزيع الصوتي الذي تتألف منه الكلمة العربية يضمن لها نوعا من الموسيقية كما يكسبها نوعا من التجانس والتوافق بين هذه الفونيمات.

وقد اهتم الرعيل الأول من علماء اللغة العربية بهذه الخاصية، حيث قال ابن جني: «أما إهمال ما أهمل مما تحتمله قسمة التركيب في بعض الأصول المقصورة أو المستعملة فأكثره متروك للإستقلال، وبقية ملحقة به ومقفأة على أثره فمن ذلك ما رفض استعماله لتقارب حروفه نحو: صص و صس وطت وتط وشض وضش لنفور الحبس عنده والمشقة على النفس لتكلفه، وكذلك قج وجق وكق وقك وكج وجك، وكذلك حروف الحلق هي من الإئتلاف أبعد لتقارب مخارجها من معظم الحروف، أعني حروف الفم، وإن جمع بين إثنين منها يقدم الأقوى على الأضعف نحو: أهل وأحد وأخ وعهد، وكذلك متى تقارب الحرفان لم يجمع بينهما إلا بتقديم الأقوى منهما»<sup>(3)</sup>. هذا واستخرج علماء العربية بعض القوانين الصوتية التي تضمن هذا الإنسجام الصوتي داخل الكلمة، فقد «قرروا أن العربية تتجنب جمع ( الزاي مع الظاء والسين، والصاد، والذال)، وجمع ( الجيم مع القاف، والطاء، والطاء، والغين، والصاد) وجمع (الحاء مع الهاء)، ووقع الهاء قبل العين، والحاء قبل الهاء إلى آخر ما قرروا في هذا الباب على ما هو معروف للدارسين»<sup>(4)</sup>

<sup>1</sup> - ابن دريد، **جمهرة اللغة**، حيدر آباد الدكن، الهند، 1345هـ، ج1، ص 09.

<sup>2</sup> - د/كمال بشر، **دراسات في علم اللغة**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1988، ص 196.

<sup>3</sup> - ابن جني، **الخصائص**، ص 250، وانظر د/ كمال بشر، **دراسات في علم اللغة**، ص ص 196-197.

<sup>4</sup> - كمال بشر، **دراسات في علم اللغة**، ص 83.

فاللغة العربية لم تجمع بشكل عام بين الأصوات الطبقية أو الحلقية أو الحنجرية أو غيرها، وهذه سنة مطردة وسلوك عام في نسج كلماتها. كما دعوا إلى تأليف الكلمات من أصوات متباعدة المخارج وضرورة توزيعها على مدارج النطق، لترقى الوحدات اللغوية إلى مستوى الفصاحة، ذلك أنه إذا «تقارب حرفان في مخرجهما قبح اجتماعهما».<sup>(1)</sup>

من هنا يتضح أن الكلمة العربية تتفر من توالي حرفين متقاربين في المخرج والصفة، فقد «دلت الإحصاءات على أن الكلمة العربية لا يتوالى فيها حرفان من مخرج واحد قريبان جدا في المخرج والصفة»<sup>(2)</sup>، كما أكد الحاسوب المستخدم في إحصاء جذور المعاجم العربية الكبرى كلسان العرب وتاج العروس أن الحروف المتقاربة المخارج تميل إلى عدم التتابع في سياق الكلمة العربية<sup>(3)</sup> مما سبق نستنتج أن الأصوات المتجاورة في السياق تتفاعل فيما بينها، ويؤثر بعضها في بعض خاصة إذا كانت الأصوات متقاربة المخارج والصفات، أو في المخارج فقط، وهذا التجاور والتفاعل بين الفونيمات هو السبب المباشر في تلك التغيرات الصوتية التي تعترى الكلمات في السياق ومن أمثلة هذه التغيرات الصوتية: الإبدال والإدغام والإقلاب، والمماثلة، والمخالفة...وهي ظواهر صوتية قامت في الأصل على أسس تطبيقية تهدف في الأساس إلى تجنب الثقل.

### ثانيا- من حيث الذلاقة والإصمات:

صفات الحروف العربية يجمعها لقبان كبيران هما: الحروف المذلفة، والحروف المصمتة، والحروف المذلفة ستة هي: اللام، والراء، والنون، والفاء،

<sup>1</sup> - ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص 95

<sup>2</sup> - إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 83.

<sup>3</sup> - انظر علي حلمي موسى، إحصائيات جذور معجم لسان العرب باستخدام الكمبيوتر، مطبوعات جامعة الكويت، 1972، نقلا عن محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط1، 1996، ص 126.

والياء، والميم، وقد سميت هذه الحروف بهذا الاسم» لأن الدلالة في المنطق، إنما هي بطرف أسلة اللسان والشفنتين، وهما مدرجتا هذه الحروف الستة»<sup>(1)</sup>. وتعد هذه الزمرة الصوتية من أسهل الحروف نطقا وجريانا على اللسان وبالتالي أحسن الأصوات امتزاجا بغيرها لخفتها، بل إن «في هذه الحروف الستة سر طريف ينتفع به في اللغة، وذلك أنه متى رأيت اسما رباعيا أو خماسيا غير ذي زوائد، فلا بد فيه من حرف من هذه الحروف الستة...فمتى وجدت كلمة رباعية أو خماسية معرأة من بعض هذه الحروف الستة فاقض بأنه دخيل في كلام العرب وليس منه»<sup>(2)</sup>

أما الحروف المصمتة، فهي ضد المذلة، وتضم باقي الحروف عدا الستة السابقة الذكر، وسميت بالمصمتة لأنها صممت - أي منعت أن تختص بالبناء إذا كثرت حروفه لاعتياصها على اللسان<sup>(3)</sup> وتعد هذه الحروف مما يصعب النطق به، وباستقراء المعاجم العربية وتدقيق النظر فيما ورد فيها من أبنية رباعية أو خماسية نجد أن الأفعال الرباعية والخماسية كذلك لم تخل من حرف من حروف الدلالة<sup>(4)</sup>، وما جاء خاليا منها حكم عليه بالعجمة، فمتى وجدت كلمة رباعية أو خماسية معرأة من بعض هذه الأحرف الستة فاقض بأنه دخيل في كلام العرب، وليس منه<sup>(5)</sup> ولم يأت على غير هذه القاعدة سوى عدد قليل جدا من الكلمات نحو: العسجد، القداحس، الزهزقة، والدعشوقة.<sup>(6)</sup>

<sup>1</sup> - الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ج1، ص 31، وانظر رابح العوي، في الفصاحة العربية، ط2003، ص 104.

<sup>2</sup> - ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص 64، وانظر حسن ظا، كلام العرب من قضايا اللغة العربية، بيروت، دار النهضة العربية، 1976، ص 47، وانظر رابح العوي، في الفصاحة العربية، ص 104.

<sup>3</sup> - ابن دريد، جمهرة اللغة، ج1، ص 07.

<sup>4</sup> - أنظر د/عنان محمد سلمان، الإستقراء في اللغة، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد 34، ج3، 1983، ص 210.

<sup>5</sup> - ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص 65.

<sup>6</sup> - القداحس: الشجاع الجريء، الزهزقة: شدة الضحك، الدعشوقة: المرأة القصيرة.

وقد اتضح مما أقره الفيروز آبادي أن: «أحرف الذلاقة وخاصة اللام والميم والنون والراء هي الأكثر شيوعاً في القرآن الكريم، إذ بين أن عدد اللامات في القرآن الكريم 33522، وعدد النونات 26525، وعدد الميمات 26135، وعدد الراءات 11793»<sup>(1)</sup>.

كما أثبتت المباحث التطبيقية التي قام بها د / إبراهيم أنيس أن اللام والنون والميم هي أكثر الأصوات الساكنة شيوعاً في اللغة العربية، إذ أن «نسبة شيوع اللام (127) مرة في كل ألف من الأصوات الساكنة، الميم (124) مرة، والنون (112) مرة»<sup>(2)</sup>، كما تبلغ نسبة اللام إلى الراء في السور العشر الأولى في القرآن الكريم حوالي (2/7).

مما سبق نؤكد على أن أصوات الذلاقة هي أخف الأصوات، وأكثرها شيوعاً في اللغة العربية ليس في الرباعي والخماسي فحسب، بل حتى في الثنائي والثلاثي وذلك مثل: من، في، إلى، لكن...

### ثالثاً- من حيث تجاوز الحروف:

لاحظ اللغويون المتقدمون أن أمثلة من كلام العرب لا يصح فيما تقديم حرف معين على آخر، أو لا يصح وجود حرفين معينين في كلمة واحدة، ومن ذلك ما جاء به الخليل بن أحمد في مقدمة كتاب العين، من أنه ليس في كلام العرب كلمة صدرها نر<sup>(3)</sup>، أي نون تليها راء.

وتعد حروف الحلق أصعب الحروف اتئلافا نظراً لصلابة عضل الحلق إذا قيست بمرونة عضلة اللسان، فليست عضلة الحلق من المرونة بحيث

---

<sup>1</sup> - الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تح محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الدينية الإسلامية، 1974، ص 563، 566، وانظر د/ عبد العزيز مطر: لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، القاهرة، 1966، ص 214.

<sup>2</sup> - إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 240.

<sup>3</sup> - انظر الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ج1، ص 53.

تسمح باجتماع حروفه في كلمة»<sup>(1)</sup> ويشترط ابن جني لتأليف الحروف الحلقية أن يفصل بينها بفواصل حتى اجتمع إثنان منهما في كلمة واحدة، وذلك نحو: « هذأت، خبأت، وعبء، وخيعل، وغيهب، وحضأت النار، وحطأت به الأرض»<sup>(2)</sup>.حيث فصل بين كل منها بفواصل، أما إذا لم يكن هناك فاصل، فينبغي التنبيه إلى ترتيبها، فالهمزة إذا تقدمت على واحدة من الهاء والحاء والخاء جاز ذلك نحو: أهل، وأهبه، وإهاب مع الهاء وأحد وإحنة مع الحاء، وأخذ وأخ مع الخاء، أما إذا تأخرت الهمزة على واحدة منهن، فإنها لا تأتلف، إلا مع الهاء وذلك مثل بهأت، ونهيء اللحم وفي مواضع الحكاية والتكرار، نحو حأجأت بالكبش، إذا دعوته، وهأهأت بالإبل.<sup>(3)</sup>

الحقيقة التي لا مرأ فيها أن الأصوات اللغوية حين تأتلف لتشكل نسجا لغويا يجب أن تتوزع توزعا عادلا على مدارج النطق حتى تضمن التناسق والانسجام بين الكلمات المكونة لها، ففي حالة تجاوز حرفان متقاربان في المخرج وكان أحدهما قوي الجرس، والآخر ضعيف، وجب تقديم الأقوى منهما، وذلك ليكون عمل اللسان من وجه واحد<sup>(4)</sup> أي لتحقيق الانسجام والتواءم بين حروف الكلمة، واقتصادا في الجهد العضلي، وقد أشار الرعيل الأول من علماء العربية إلى هذه الظاهرة الصوتية بأسماء عدة منها المضارعة والتقريب، ومن الأمثلة الدالة عليها أن تقع فاء ( افتعل) صادا أو ضادا أو طاء أو ظاء وذلك نحو: اصطبر، واطرد، واضطلم<sup>(5)</sup>

<sup>1</sup> - د/ مهدي المخزومي، الخليل بن أحمد الفراهيدي - منهجه وأعماله، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت، ص 128.

<sup>2</sup> - ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج2، ص 812.

<sup>3</sup> -انظر المصدر نفسه، ج2، ص 813.

<sup>4</sup> -انظر سيبويه، الكتاب، ج4، ص 426.

<sup>5</sup> -انظر ابن جني، الخصائص، ج2، ص 141.

فأصل هذه الكلمات هو: إصتبر، واضترب، واضترد، واضتلم، فيما أن حروف الإطباق مستعلية، والتاء مستقلة وجب قلب التاء طاء لتحقيق تناسق صوتي للكلمة ومن ذلك أيضا: أن تقع تاء ( إفتعل) زايًا أو دالًا أو ذالًا، فتقلب تأؤه دالًا كقولهم: إزدان، وادعى، واذكر، إذ أن الأصل لهذه الكلمات ازتان، وادتعى، واذتكر، فتجاور بذلك حرفان أحدهما مجهور وهو إما الزاي وإما الدال وإما الذال والثاني مهموس، فتأثر الثاني بالأول، وانقلب إلى صوت مجهور ليجتمع صوتان مجهوران.

ففصاحة الألفاظ تتجه نحو أصوات العربية ولا ينظر إلى أشكالها أو كتابتها المرئية المادية الخطية» لأننا نستطيع رسم الحروف المتقاربة المخارج بجوار بعضها، ولا نتلفظ بها إلا بصعوبة تجعل الصوت غير مبين، ولذا « كلما تباعدت مخارج الحروف ( الأصوات) كانت الكلمة فصيحة، وكلما تقاربت مخارج الحروف كانت الكلمة أقرب إلى المعاضلة نحو مستشزرات أي مرتفعات» (1)

وعليه فالكلمة باعتبارها أساس البناء الكبير يجب أن تكون فصيحة حسنة ذلك أنه « إذا كانت الكلمة حسنة استمتعنا بها على قدر ما فيها من الحسن» (2)

هذا وقد درس علماء البلاغة والبيان مواطن الحسن والقبح في الألفاظ من خلال دراستهم لشروط فصاحة اللفظ أمثال الخليل والجاحظ وابن سنان الخفاجي وغيرهم...

فالجاحظ يرى أن مرجع الكلام الفصيح عنده هو القرآن الكريم، وقد أكد أن الفصاحة كمفهوم مرتبط بنقاء اللغة وسلامتها مما يشوبها، فهي مرتبطة بالنطق السليم وجزالة اللفظ وصحة مخارج الكلمات.

<sup>1</sup> - د/ محمد ربيع، التعبير الوظيفي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 2000، ص 26.

<sup>2</sup> - الجاحظ، البيان والتبيين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1968، ج1، ص 203.

أما أبو هلال العسكري يرى أن الفصاحة مرتبطة بتمام البيان، فالكلام عنده لا يكون فصيحاً إلا « إذا كان واضح المعنى، سهل اللفظ، جيد السبك، غير مستكره فح، ولا متكلف وخم»<sup>(1)</sup>.

هذا وقد اهتم الخفاجي بفصاحة الكلمة المفردة حيث وضع لفصاحتها ثمانية شروط هي:

1-تباعد مخارج الحروف ليسهل النطق بها، وفي هذا الشرط رأي نقله عنه الرماني في باب تلاؤم الحروف وتنافرها فقال: « وأما التنافر فالسبب فيه ما ذكره الخليل مع البعد الشديد أو القرب الشديد،...وكلاهما صعب على اللسان، والسهولة من ذلك في الاعتدال، ولذلك وقع في الكلام الإدغام والإبدال»<sup>(2)</sup>

2-أن تكون اللفظة مستحسنة في السمع.

3-أن لا تكون متوعرة وحشية، أي غليظة يستقلها السمع وينفر منها الذوق.

4-أن لا تكون ساقطة عامية.

5-أن لا تكون جارية على العرف العربي الصحيح في التصريف والاستعمال.

6-أن لا يكون معناها اللغوي القديم مهجوراً.

7-أن لا تكون الكلمة كثيرة الحروف كمستشزرات، مغناطيسهن.

8-أن لا تصغر الألفاظ تصغير تعظيم.

وعليه يمكن القول أن فصاحة الكلمة مرهون بسلامتها من التنافر في نسجها لأصواتها، إضافة إلى موافقتها للأقسية العربية المطردة، وبعدها عن

---

<sup>1</sup>- أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين الكتابية والشعر، تح علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى الباني الحلبي وشركاه، ط3، 1971، ص ص 13-14.

<sup>2</sup>- الرماني ( أبو الحسن علي بن عيسى)، النكت في إعجاز القرآن، دار المعارف، دت، دط، ص ص 87-88.

الحوشية والغربة والابتذال. فإن تحققت فيها هذه المعايير جاءت الألفاظ « تشبه العسل في الحلاوة، والماء في الرقة والسلاسة، وكالنسيم في السهولة، لا تنبو عن قبوله الأذهان، ولا تمجها الآذان»<sup>(1)</sup>، ذلك أن الذوق العربي السليم يعتمد إلى تشكيل الوحدات الصوتية بعيدا عن النشاز، كما يحاول جاهدا تحقيق نوع من الإنسجام والتناسق بين فونيماتها، الأمر الذي يكسبها نغمية وإيقاعية ترتاح لها النفوس وتطرب لها القلوب وتستلذها الأسماع.

وخلاصة ما مر أن اللغة العربية حريصة على التفريق من الأصوات المتماثلة أو المتقاربة حتى تؤمن قدرا أعلى من السهولة في النطق، وحدا أعلى من الوضوح السمعي، حتى تتسم الكلمة بالفصاحة والأناقة، فكلما كانت اللفظة فصيحة سلسة عذبة كلما كانت أكثر تأثيرا وأبعد عمقا في نفوس متلقيها لما تنضج به من طاقة صوتية لا ينفذ سخاؤها، ولا ينقطع عطاؤها لطواعيتها وخلوها من العيوب المخلة بفصاحتها.

#### خاتمة:

إن التشكيل الصوتي في أساسه نابع عن براعة التأليف وحسن تشكيل الأصوات وهو أحد الأذرع التي يعول عليها في إنتاج وحدات لغوية متناغمة متناسقة لا يحتاج نطقها إلى كلفة عضلية زائدة ومن النتائج المتوصل إليها في المقال.

-عمدت العربية إلى تجنب الجمع بين الأصوات المتقاربة جدا في المخارج في الكلمة الواحدة، لأن نطقها يؤدي إلى التعاقل والتثقل والجهد الزائد.  
-عمدت العربية على التفريق بين الأصوات المتجانسة أو المتماثلة أو المتقاربة، حتى تؤمن قدرا أعلى من السهولة في النطق، وحدا أعلى من الوضوح السمعي.

---

<sup>1</sup> - د/الهام أبو غزالة وعلي خليل حمد، مدخل إلى علم لغة النص، تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند وولفجانج، دريسلر، ص 309.

-من خصائص العربية توزع أصواتها على مدارج النطق توزعاً عادلاً  
يضمن لها نوعاً من الموسيقية والنغمية، هذا التوزع سنة مطردة وسلوك عام في  
نسيجها لكلماتها.

-أصوات الذلاقة هي أخف الأصوات وأكثرها شيوعاً لحسن إمتزاجها  
بغيرها.

-اللغة العربية تكره توالي الأمثال وتمجه، فأوجدت طرقاً للتخلص من  
ذلك عن طريق المماثلة والمخالفة.

-الذوق العربي واحد من العوامل التي تساهم في تحديد مواطن القبح  
والجمال في الكلمات.

### قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: قائمة المصادر:

-القرآن الكريم

- 1- ابن الجوزي: النشر في القراءات العشر، ج1، ص 278.
- 2- ابن جني: سر صناعة الإعراب، تح حسن هنداوي، دار الكتب  
العلمية، بيروت، ط1، 1985، ج1
- الخصائص، تح محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ط1،  
1956.

- 3- ابن دريد: جمهرة اللغة، حيدر آباد الدكن، الهند، 345هـ، ج1.
- 4- ابن سينا ( العبارة ) الشفاء، تح محمود الخضيرى، الهيئة المصرية  
العامة، القاهرة، 1970.

- 5- أبو هلال العسكري: الصناعتين، الكتابة والشعر، تح علي محمد  
البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى الباني الحلبي وشركاه، ط3، 1979.
- 6- الجاحظ: البيان والتبيين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1986،  
ج2.

- 7-الجهري: الصحاح، تح أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، 1984، ج5، مادةً شَكَلَّ .
- 8-الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح مهدي المخزومي، ود/ ابراهيم السامرائي، منشورات مؤسسة الأعلام للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1988، ج1.
- 9-الرماني: النكت في إعجاز القرآن، دار المعارف، د.ط، د.ت.
- 10-سيبويه: الكتاب، تح محمد عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، د.ت. ج4.
- 2-قائمة المراجع العربية:
- 11-إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4، 1979.
- 12-إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، تطبيقات لنظرية روبرت دي يوجراند وولفجانج دريسلو، د.ت.
- 13-تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1979.
- 14-توفيق محمد شاهين، علم اللغة العام، دار التضامن للطباعة، القاهرة، ط1، 1980.
- 15-حسن ظاظا: كلام العرب، من قضايا اللغة العربية، بيروت، دار النهضة العربية 1976.
- 16-رابح العوبي: في الفصاحة العربية، القاهرة، ط 2003.
- 17-رمضان عبد التواب: التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخفاجي، القاهرة، ط1، 1982.
- 18-زين كامل الخويسكي: الجملة الفعلية في شعر المتنبي، منفية واستفهامية ومؤكده، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، 1985.

- 19-علي حلمي موسى: إحصائيات جذور معجم لسان العرب باستخدام الكمبيوتر، مطبوعات جامعة الكويت، 1972.
- 20-كمال بشر: دراسات في علم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998.
- 21-محمد الأنطاكي: المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، دار الشروق العربي، بيروت، لبنان، ط3، د.ت.
- 22-محمد ربيع: التعبير الوظيفي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 2000.
- 23-محمد المبارك: فقه اللغة وخصائص العربية ( دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد )، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، 1981.
- 24-محمود سليمان ياقوت: علم الجمال اللغوي ( المعاني، البيان، البديع)، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، 1995.
- 25-مهدي المخزومي: الخليل بن أحمد الفراهيدي، منهجه وأعماله، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.
- 3-قائمة المراجع المترجمة:
- 26-ماريوباوي: أسس علم اللغة، ترجمة د/ أحمد مختار عمر، طرابلس، 1973.
- 4-المجلات:
- 27-عدنان محمد سلمان: الاستقراء في اللغة، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد 34، ج3، 1983.